يزيد بن المهلب

أعـــلام القـــادة

القائد يزيد بن المهلب

يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد: أمير، من القادة الشجعان الاجواد. ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة ٨٣ هـ فمكث نحوا من ست سنين، وعزله عبد الملك بن مروان برأي الحجاج (أمير العراقين في ذلك العهد) وكان الحجاج يخشى بأسه، فلما تم عزله حبسه، فهرب يزيد إلى الشام. ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك، ولاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، وافتتح جرجان وطبرستان. ثم نقل إلى إمارة البصرة، فأقام فيها إلى أن استخلف عمر بن عبد العزيز، فعزله، وطلبه، فجيء به إلى الشام، فحبسه بحلب. ولما توفي عمر وثب غلمان يزيد، فأخرجوه من السجن. وسار إلى البصرة فدخلها وغلب عليها سنة ١٠١هـ ثم نشبت حروب بينه وبين أمير العراقين مسلمة بن عبد الملك، انتهت بمقتل يزيد، في مكان يسمى" العقر " بين واسط وبغداد.

ولما أتي يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب نال منه بعض جلسائه، فقال له: مه! إن يزيد بن المهلب طلب جسيماً، وركب عظيماً، ومات كريماً.

وأخباره كثيرة. وإياه عني الفرزدق بقوله:

وإذا الرجال رأوا يزيد رأيتهم ::: خضع الرقاب نواكس الابصار

قال ابن ظفر: " وكان من أمره أن برز للحروب وله ثماني عشرة سنة، واتخذ ذراعا من حديد، مجوفة، فكان يدخل فيها يده اليسرى فإذا استجرت الرماح في صدره وجللته السيوف، وضع يده اليسرى على رأسه ثم حمل. وولي خراسان وتغلب على البصرة. وكان من عاقبة أمره أن نابذ بني أمية الخلافة، فقتل بعد حروب كثيرة مشهورة " [1].

(١) الزركلي،الأعلام، ٨ /١٩٠، سير أعلام النبلاء، ٤ /٥٠٦.

مواقف من حياته:

بل العجب من ألاّ تفعل:

دخل الهذيل بن زفر على يزيد بن المهلب في حمالات لزِمَتهُ فقال له: إنه قد عظُم شأنك عن أن يستعان بك أو يستعان عليك ولست تصنع شيئا من المعروف إلا وأنت أكبر منه، وليس العجب من أن تفعل بل العجب من ألاّ تفعل فقضى حاجته[1].

كيف وصلت إلي؟!

عن المدائني قال: كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب فلما حبس عمر بن عبد العزيز ﷺ يزيد بن المهلب منع الناس من الدخول عليه أتاه سعيد فقال: يا أمير المؤمنين، لي على يزيد خمسون ألف درهم وقد حلت بيني وبينه، فإن رأيت أن تأذن لي فأقتضيه فأذن له فدخل عليه فسر به يزيد قال: كيف وصلت إلي؟! فأخبره فقال: والله لا تخرج إلا وهي معك، فامتنع سعيد، فحلف يزيد ليقبضنها فوجه إلى منزله حتى حمل إلى سعيد خمسين ألف درهم[2].

الذي يصل إلي من ذلك أكثر:

قام رجل من العباد إلى يزيد بن المهلب فقال: إنك، والله أيها الأمير ما استدمت تتابع النعم بمثل اصطناع المعروف ولا كابدت إبليس بمثل إضمار النصيحة لمن ولاك الله أمره فإذا كنت كذلك أصلح الله لك ما تخشى فساده وجمع لك ما تخشى شتاته وإني والله أيها الأمير لأحب صلاحك والذي يصل إلي من ذلك أكثر[3].

---

(١) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ص٢٥٦.
(٢) المصدر السابق، ص٣٤٩.
(٣) المصدر السابق، ص٥٧٥.

ومن سخاء يزيد بن المهلب:

قال المدائني: جاء رجل إلى يزيد بن المهلب فامتدحه، فأحمد عقله وفصاحته فجعله أحد ندمائه، وكان ينصرف في كل يوم من عطيته بمائة دينار، فلما أراد الرحيل والانصراف إلى أهله أمر له بثلاثة آلاف دينار، ثم قال: إن - والله - ما أستقلها تكبراً ولا أستكثرها امتناناً، ولا أستزيدك بها ثناءً ولا أقطع لك بها رجاءً[1].

رأيتك في المنام :

قال عمرو الكوفي: دخل حمزة بن بيض على يزيد بن المهلب يوم جمعة وهو يتأهب للمضي إلى المسجد، وجاريةٌ تعممه فضحك، فقال: له يزيد: مم تضحك؟ فقال: لله رؤيا رأيتها إن أذن لي الأمير قصصتها، قال: قل، فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام سننت خـزاً[2] ::: علي بنفسجاً وقضيت ديني

فصدق ما هديت اليوم رؤيا ::: رأقها في المنام كذاك عيني

قال: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: قد أمرت لك بها وبمثلها، ثم قال: يا غلمان! فتشوا الخزائن فجيؤوه منها بكل خز بنفسجٍ تجدونها، فجاؤوا بثلاثين جبة، فنظر إليه يلاحظ الجارية، فقال: يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب، فإذا وصلت إلى منزله فأنت له، فأخذها والجباب والمال وانصرف[3].

فافعل به كبعض فعلاتك الأول :

قال عبد الله بن الكوفي: أغرم سليمان بن عبد الملك عمر بن هبيرة من غزاته في البحر ألف ألف درهم، فمشى إلى يزيد بن

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٤٧/١.
(٢) سننت خزاً أي: ألقيته وصببته علي.
(٣) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١٩٤/١.

المهلب وقد ولي العراق بعثمان بن حيان المري والقعقاع ابن خالد العبسي والهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي وغيرهم من قيس، فلما انتهوا إلى باب سرادق يزيد أذن لهم الحاجب في دخوله، وأعلمهم أنه يغسل رأسه، فلما فرغ خرج في سبنية فألقى نفسه على فرشه ثم قال: ما ألف بينكم؟ فقال عثمان: هذا ابن هبيرة شيخنا وسيدنا، كان الوليد حمل معه مالاً حيث وجهه إلى البحر، فأعطاه جنده، فخرج عليه من غرمه ألف ألف درهم، فقلنا: يزيد سيد أهل اليمن ووزير لسليمان وصاحب العراق ومن قد تحمل أمثالها عمن ليس مثلنا، ووالله لو وسعتها أموال قيس لاحتملناها. ثم تكلم القعقاع فقال: يا بن المهلب هذا خير ساقه الله إليك، وليس أحد أولى به منك، فافعل به كبعض فعلاتك الأول، فلن يصدك عن قضاء هذا الحق ضيق ولا بخل، وقد أتيناك مع ابن هبيرة فيما حمل، فهب لنا أموالنا واستر في العرب عورتنا. ثم تكلم الهذيل بن زفر فقال: يا بن المهلب، إني لو وجدت من الممشى إليك بداً لما مشيت إليك، لأن أموالك بالعراق، وإنما أتيتنا خائفاً، ثم أقمت فينا ضيفاً، ثم تخرج من عندنا محروباً. وايم الله لئن تركناك بالشام لنأتينك بالعراق، وما ها هنا أقرب في الحظوة وأوجب للذمام. ثم تكلم ابن خيثمة فقال: إني لا أقول لك يا ابن المهلب ما قال هؤلاء، أخبرني إن أنت عجزت عن احتمال ما على ابن هبيرة فعلى من المعول، لا والله ماعند قيس له فكاك، ولا في أموالهم متسع، ولا عند الخليفة له فرج. ثم تكلم ابن هبيرة فقال: أما أنا فقد قضيت حاجتي رددت أم أنجحت لأنه ليس لي أمامك متقدم ولا خلفك متأخر، وهذه حاجة كانت في نفسي فقضيتها. فضحك يزيد بن المهلب وقال: إن التعذر أخو البخل، ولا أعتذر، فاحتكموا، فقال القعقاع: نصف المال، فقال يزيد: قد فعلت، أرنا يا غلام غداءك،

قال: فجيء بالطعام فأنكرنا منه أكثر مما عرفنا، فلما فرغنا أمر بتطييبنا وحملاننا وإجادة الكسوة لنا، قال: ثم خرجنا، حتى إذا مررنا قال ابن هبيرة: أخبروني عما بقي من يحمله بعد ابن المهلب؟ لقد صغر الله أقداركم وأخطاركم، والله ما يدري يزيد ما بين النصف والتمام، وما هما عنده إلا سواء، ارجعوا إليه فكلموه في الباقي، قال: وقد كان يزيد ظن بهم أن سيرجعون إليه في التمام، فقال للحاجب: إذا عادوا فأدخلهم، فلما عادوا أدخلهم، فقال لهم يزيد: إن ندمتم أقلناكم، وإن استقللتم زدناكم، فقال له ابن هبيرة: يا بن المهلب، إن البعير إذا أوقر أثقلته أذناه وأنا بما بقي مثقل، فقال: قد حملتها عنك، ثم ركب إلى سليمان فقال: يا أمير المؤمنين إنك إنما رشحتني لتبلغ بين وإني لا أضيق عن شيءٍ اتسع له مالك، وما في أيدينا عوارٍ لك تصطنع بها الناس وتبتني بها المكارم، ولولا مكانك ظلعنا بالصغير. ثم قال: إنه أتاني ابن هبيرة في وجوه أصحابه، فقال له سليمان: أمسك أتاك في مال الله عنده، خب ضب، جموع منوع، خدوع هلوع، هيه فصنعت ماذا؟ قال: حملتها عنه، قال: احملها إذاً إلى بيت مال المسلمين، قال: والله ما حملتها خدعةً وأنا حاملها بالغداة، ثم حملها فلما أخبر سليمان بذلك دعا يزيد فلما رآه ضحك وقال: ذكت بك ناري، ووريت بك زنادي، غرمها علي وحمدها لك، قد وفت لي يميني فارجع المال إليك، ففعل[1].

توسط عمر بن عبد العزيز لدى يزيد بن المهلب:

كان بشر بن مروان قد ادخر وهو على العراق عن ابنه عبد الملك وعن عيينة بن أسماء من غلات أراضيهم مالاً عظيماً، فلما ولي الحجاج أخرج تلك البقايا فوجد ما على عبد الملك وعيينة بن

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٧٨/١.

أسماء فقال: وما على بشرٍ أن يهب من مال الله تعالى لابنه وختنه هذا وأكثر منه، والله لآخذنهما به أخذ الضبّ ولده، وطالبهما فريثاه حتى هلك فلحقا بالشام فنزلا على عمر بن عبد العزيز فقالا له: إن بشراً كان أطعمنا شيئاً كثيراً من غلاتنا فبسطنا فيه أيدينا، وان الحجاج بسفهه وخرقه وظلمه أخرج علينا ثم أخذنا به، فلم نزل نخدعه عن أنفسنا حتى هلك، فكلم أمير المؤمنين في هبة ذلك لنا، فضحك عمر وقال: لست أثق لكما بكلامي، ولكن لكما عندي رأي فيه نجاح طلبتكما، قالا: فادللنا عليه، قال: نمشي إلى يزيد بن المهلب فإما أن يحملها من ماله، وإما أن يعيننا على سليمان فيهبها لكما، ولا والله ما كنت لأمشي إلى عربيٍ على الأرض غيره ليس من ولد مروان. ثم أتوا يزيد فقال له عمر: إن أتيناك زواراً وهذان من قد عرفت، فلا تنظرن إلى جرم أبو يهما عند أبيك، فضحك يزيد وقال: عفا الله عنك يا أبا حفص، أرجع في ذنبٍ قد غفره أبي قبلي؟! والله ما عجز عن مكافأتهما في حياته ولا أوصاني بالثأر من بعده، فإنهما لأخواي وصاحباي، هاتوا حاجتكم، فقال عمر: إن الحجاج أخرج عليهما مما كان بشر ترك لهما من غلاتهما ألف ألف وخمسمائة ألف فما ترى؟ قال: رأيكم فاحتكموا، قال: تحمل منها ما شئت قال: علي نصفها، والمطلب إلى أمير المؤمنين في بقيتها، فإن حمله عني وإلا حملته، فقال عبد الملك بن بشر: والله ما ظلم الناس أن زعموا أنك سيدهم. ثم خرجوا وعمر يقول: ما رأينا مثل هذا العراقي في وطأته فعل قبلها مثلها، ثم حمل عن القيسيين وعن يزيد بن عاتكة، وهذه ألف ألف وخمسمائة ألف. ثم ركب يزيد إلى سليمان فدخل عليه وعنده جماعة من وجوه أهل اليمن فقام فقال: يا أمير المؤمنين، فقال له سليمان: أمسك، وأبيك إنك لقادر على خلواتي، اجلس، فقال يزيد:

ما قمت لأجلس فأذن لي في الكلام، فقال: هات، فأخبره بمجيء عمر إليه وقال: قد حملت النصف وضمنت عليك الباقين والله يا أمير المؤمنين إن مقامي بالشام لمن تمام نعمة الله علي بأمير المؤمنين، إنه لم يعمد إلي أحد في حاجة إلا قضاها الله بك يا أمير المؤمنين على يدي، فقال سليمان: قد وهبنا ذلك كله لك، فلك حمده وعلينا غرمه[1].

والله ما يبالي يزيد أنصفاً حمل أم المال؟!

استعمل الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيان المري على غزاة البحر وأمره بالنفقة. فلما ولي أخوه سليمان بن عبد الملك عزله وأغرمه من ذلك المال ألف ألف درهم. قال: فاجتمعت رجال من قيس لذلك الغرم؛ فقالوا: إلى أين تذهبون وبمن تستعينون؟! قال، فقال لهم قائل: هل لكم في يزيد بن المهلب؟ قال: ويزيد يومئذ على شرط سليمان بن عبد الملك وما وراء بابه. قال: فخرجوا حتى دخلوا عليه فتقدم عثمان بن حيان المري صاحب الغرم فقال: زاد الله في توفيقك وسرورك! إن الوليد ﷺ استعملني على غزاة البحر وأمرني بالنفقة فأنفقت؛ وإن سليمان أمير المؤمنين - مد الله في بقائه أغرمني من ذلك المال ألف ألف درهم؛ والله ما يسعها مالي ولا يبلغها أملي، وقلت يزيد بن المهلب، سيد أهل العراق، وصاحب المشرق ووزير الخليفة، وأتيتك لتحمل عني من ذلك ما سهل عليك، وما يبقى والله علي ثقيل! قال: ثم سكت. وتقدم فلان القيسي خال الوليد بن عبد الملك؛ فقال: أصلحك الله! إنه ما خص هذا عمنا وقد أتيناك في أمر لم نجد أحداً ينفرد به ولا يساعد من يعين عليه فإن تكف فليس بأكثر

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣٨٨/١.

ما فيك،وإن تدفعه فما له سواك! قال: ثم سكت. وتقدم عمر بن هبيرة الفزاري، فقال: أصلحك الله! إنا والله لو وجدنا أحداً دونك لاخترناه، أو خلفك لتخطينا إليه! والله ما الدخان بأدل على أنه من النار ولا العجاج أنه من الرياح من ظاهر أمرك على باطنه وقد أتيناك شفعاء لابن حيان في هذا المال؛ فإن تستكثره فقد يظلع ما هو دونه، وإن تستقله فقد ترجى لما هو أكثر منه! قال، ثم سكت، وتقدم زفر الكلابي، فقال: أصلحك الله! إنا والله لم نزنك بأحد الملوك إلا رجحت به ولم نقسك بأحد منهم إلا ارتفعت عليه، ولا غاية يبلغها أحد إلا وقد بلغتها وأنت فيها مقدم وحقك فيها معظم، وقد لأتيناك شفعاء لابن حيان في هذا المال والله ما العجب من أن تفعل ولكن العجب من أن لا تفعل وأنت أنت! قال: فقال أبو خالد: مرحباً بكم وأهلاً! إن خير المال ما وقي به العرض، وإنما لي من مالي ما فضل عن النوائب، ولو علمت أحداً أملأ بحاجتكم مني لأرشدتكم إليه! فاحتكموا! قالوا: نصف المال! فلما كانوا على باب السرادق قال لهم قائل: إلى أين تذهبون وبمن تسعينون! والله ما يبالي يزيد أنصفاً حمل أم المال؟! فارجعوا! فرجعوا فقال: مه! قالوا: أقلنا أصلحك الله! قال: قد أقلتكم! قالوا: المال كله! قال: المال كله! قال، فبعث إليه ابن الرقاع العاملي بأبيات فيها:

فلم تر عيناي كمثل حمالة ::: تحملها كبش العراق يزيد

وقالوا:

أقل يا بن المهلب زلة ::: فقال أقلتم إن ذا لعتيد

تحمل عنهم بألف ألف برسله ::: ولو أنهم سألوا المزيد لزيدوا

رأى عمر أن ليس يحمل ثقلها ::: سواه وما عن قول تلك محيد[1]

أصبتك رخيصاً فاشتريتك:

ودخل الفرزدق على يزيد بن المهلب في الحبس فأنشده:

صح في قيدك السماحة والجو ::: د وفك العناة والإفضال

قال: أتمدحني وأنا في هذه الحال؟ قال: أصبتك رخيصاً فاشتريتك. فأمر له بعشرة آلاف[2].

إن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي:

مر يزيد بن المهلب بأعرابية في خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة، فقرته عنزاً فقلبها، وقال لابنه معاوية: ما معك من النفقة؟ فقال: ثمان مائة دينار، قال: فادفعها إليها، قال أبنه: إنك تريد الرجال، ولا يكون الرجال إلا بالمال، وهذه يرضيها اليسير، وهي بعد لا تعرفك فقال له: إن كانت ترضى باليسير، فأنا لا أرضى إلا بالكثير، وإن كانت لا تعرفني، فأنا أعرف نفسي ادفعها إليها[3].

لقد أسأنا إلي أبي ايوب:

وقيل: إن الحجاج أخذ يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده وسجنه فتوصل يزيد بحسن تلطفه وأرغب السجان واستمالة وهرب هو والسجان وقصد الشام إلى سليمان بن عبد الملك ابن مروان، وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن إليه وأقامة عنده، فكتب الحجاج إلى الوليد يعلمه أن يزيد هرب من السجن وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخي أمير المؤمنين

(١) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ص٣٠.
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٨٧/١.
(٣) الكامل في اللغة و الأدب، ١ /١١٥.

وولي عهد المسلمين وأن أمير المؤمنين أعلى رأيا فكتب الوليد إلى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان إلى أخيه يقول: يا أمير المؤمنين أني ما أجرت يزيد بن المهلب، إلا لأنه هو وأبوه وإخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجر عدوا لأمير المؤمنين، وقد كان الحجاج قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبة بعدها بثلاثة آلاف ألف درهم وقد صار إلي واستجار بي فأجرته، وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فإن رأى أمير المؤمنين ألاَّ يختبرني في ضيفي فليفعل فإنه أهل الفضل والكرم، فكتب اليه الوليد إنه لا بد أن ترسل إلي يزيد مغلولا مقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا يزيد بن المهلب فقيده ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة وغلها جميعا بغلين وأرسلهما إلى أخيه الوليد، وكتب إليه أما بعد: يا أمير المؤمنين فقد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني إذا شئت ثالثا والسلام.

فلما دخل يزيد بن المهلب، وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة أطرق الوليد استيحاء وقال: لقد أسأنا إلي أبي أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد: ما يحتاج إلى الكلام فقد قبلنا عذرك، وعلمنا ظلم الحجاج ثم أنه أحضر حدادا، وأزال عنهما الحديد، وأحسن إليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الحجاج يقول له: لا سبيل لك على يزيد بن المهلب، فإياك أن تعاودني فيه بعد اليوم فسار يزيد الى سليمان بن

عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل [1].

أفاض القوم في ذكر الجوارى:

وكان يزيد بن المهلب من الأجواد الأسخياء، وله أخبار في الجود عجيبة من ذلك ما حكاه عقيل بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال: لما أراد يزيد بن المهلب الخروج إلى واسط أتيته، فقلت: أيها الأمير، إن رأيت أن تأذن لي فأصحبك قال: إذا قدمت واسط فانتنا إن شاء الله تعالى فسافر وأقمت فقال لي بعض إخواني: إذهب إليه.

فقلت: كان جوابه فيه ضعيفًا قالوا: أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسرت حتى قدمت عليه، فلما كان في الليل دعيت إلى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى، فالتفت إلى يزيد، وقال: إيه يا عقيل فقلت:

أفاض القوم في ذكر الجوارى ::: فأما الأعزبون فلن يقولوا

قال: إنك لم تبق عزبا فلما رجعت إلى منزلي إذا أنا بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدرة عشرة آلاف درهم، وفي الليلة الثانية كذلك، فمكث عشر ليالي، وأنا على هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر، فقلت: أيها الأمير قد والله أغنيت وأقنيت، فإن رأيت أن تأذن لي في الرجوع فأكبت عدوى، وأسر صديقي، فقال: إنما أخيرك بين خلتين: إما أن تقيم فنوليك، أو ترحل فنغنيك. فقلت: أولم أيها الأمير. قال: إنما هذا تغنني أثاث المنزل ومصلحة القدوم فنالني من فضله ما لا أقدر على وصفه [2].

إن حلقت رأس أحد بعدك:

(١) المستطرف، ١ /٣٠٠.
(٢) المستطرف، ١ /٣٠٠.

وحدث أبو اليقظان عن أبيه قال: حج يزيد بن المهلب، فطلب حلاقا يحلق رأسه، فجاءه بحلاق، فحلق رأسه، فأمر له بخمسة آلاف درهم فتحير الحلاق ودهش، وقال: آخذ هذه الخمسة الآلاف وأمضي إلى أم فلان أخبرها إني قد استغنيت، فقال: أعطوه خمسة آلاف أخرى، فقال: امرأته طالق إن حلقت رأس أحد بعدك[1].

هذا الذي خفت منه:

وقيل: إن الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقداره مائة ألف درهم، فجمعت له وهو في السجن فجاءه الفرزدق يزوره فقال للحاجب: استأذن لي عليه، فقال: إنه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه. فقال الفرزدق: إنما أتيت متوجعا لما فيه، ولم آت ممتدحا فأذن له فلما أبصره قال:

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم ::: وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما قطرت بالشرق بعدك قطرة ::: ولا أخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزك بهجة ::: وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب: ادفع إليه المائة ألف درهم التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه ما يشاء فقال الحاجب للفرزدق: هذا الذي خفت منه لما منعتك من دخولك عليه ثم دفعها إليه فأخذها وانصرف[2].

هل لك في أمير المؤمنين بعلا؟

وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جبابين الشام، فإذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحكت شمسا عن متون غمامة فوقفنا متحيرين

(١) المستطرف، ١ /٣٥٤.
(٢) المستطرف، ١ /٣٠٠.

تنظر إليها، فقال لها يزيد بن المهلب: يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا؟ فنظرت إلينا ثم أنشأت تقول:

فإن تسألاني عن هواي فإنه ::: يحول بهذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا ::: كما كنت أستحييه وهو يراني[1]

فأرشدنا إلى من نذهب:

حكى الأصمعي أنه قدم على يزيد قوم من قضاعة فقال رجل منهم:

والله ما ندري إذا ما فاتنا ::: طلبٌ إليك من الذي نتطلبُ
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد ::: أحدٌ سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا ::: أو، لا فأرشدنا إلى من نذهب

فأمرنا له بألف دينار [2].

خير من ألف جريب مزروع:

يروى أن خالد بن صفوان دخل على يزيد بن المهلب وهو يتغدى فقال: ادن، فكل. فقال: أصلح الله الأمير لقد أكلت أكلة لست ناسيها. قال: وما أكلت؟ قال: أتيت ضيعتي لإبان الأغراس، وأوان العمارة فجلت فيها جولة حتى إذا صحرت الشمس، وأزمعت بالركود، ملت إلى غرفة لي هفافة، في حديقة قد فتحت أبوابها، ونضح بالماء جوانبها وفرشت أرضها بألوان الرياحين من بين ضيمران نافخ، وسمسق فائح، وأقحوان زاهر، وورد ناضر، ثم أتيت بخبز أرز كأنه قطع العقيق، وسمك جراني بيض البطون، زرق العيون، سود

(١) المستطرف، ٤٣٩/١.
(٢) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله التقي الحموي المعروف بابن حجة، طيب المذاق من ثمرات الأوراق، تحقيق: أبو عمار السخاوي، دار الفتح - الشارقة - ١٩٩٧م، ص١٢٠.

المتون، عراض السرر: غلاظ القصر، ودقة وخلول، ومرى وبقول، ثم أتيت برطب أصفر صاف غير أكدر لم تبتذله الأيدي، ولم تهتشمه كيل المكاييل، فأكلت هذا ثم هذا، قال يزيد: يا بن صفوان لألف جريب من كلامك، خير من ألف جريب مزروع [1].

كيف أصبح الأمير؟

دخل أعرابي على يزيد بن المهلب، وهو في فراشه والناس سماطان فقال: كيف أصبح الأمير؟ قال يزيد: كما تحب. فقال: لو كنت كما أحب، كنت أنت مكاني، وأنا مكانك. فضحك [2].

يسبقك إلى المنزل:

قال أبو العيناء، حدثني القحذمي قال، قال خالد بن صفوان: حبس يزيد بن المهلب ابن أخ لي، فصرت إلى بابه أنظم له كلاماً كما تنظم الفتاة عقدها لعيدها، ثم أذن لي، وبين يديه جارية كأنها مهاة وفي يدها مجمرة ذهب، فلما رأيتها سليت الكلام الذي كنت أعددته، وحضرتني كلمتان فقلت: والله ما رأيت صدأ المغفر ولا عبق العنبر بأحد أليق به منكم، قال: حاجتك؟ قلت: ابن أخي محبوس، قال: يسبقك إلى المنزل، فجئت إلى المنزل وقد سبقني إليه[3].

عوجل أبوك وربّ الكعبة:

قال يزيد بن المهلّب: دخلت الحمّام مع سليمان بن عبد الملك ومعنا عمر بن عبد العزيز، فقال لي عمر: إني محدّثك حديثين: أحدهما سرّ والآخر علانية؛ أما العلانية فإن هذا سيولّيك العراق، فاتق الله، وأما السرّ فإني كنت فيمن دلّى الوليد بن عبد الملك في

(١) الآبي، نثر الدر،٦/٢٩٨.
(٢) الآبي، نثر الدر،٦/١٩.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١/٣٠٥.

حفرته، فلما صار في أيدينا اضطرب في أكفانه فقال ابنه: عاش أبي وربّ الكعبة، فقلت: كلاّ، ولكن عوجل أبوك وربّ الكعبة[1].

فمن لخراسان؟

لما أتي سليمان بن عبد الملك برأس قتيبة كتب لوكيع بن أبي سود عهده على خراسان، فقال يزيد بن المهلب لإبراهيم بن الأهتم: إن رددت أمير المؤمنين عن رأيه في وكيع فلك مائة ألف، فقام ابن الأهتم فتكلم بكلام تفرق الناس عن استحسانه فقال: يا أمير المؤمنين، إن وكيعاً أدرك في الثأر، وبالغ في الطاعة، فجزاه الله خيراً، غير أني لو خفت من إحدى يدي خلافاً على أمير المؤمنين لأحببت انبتاتها من صاحبتها، وإن وكيعاً لم يملك مائتي عناق قط فحدث نفسه بالطاعة، فلا تأخذنا بحديث إن كان منه، فقال سليمان: ويلك فمن لخرسان؟ قال: العبد في الطاعة، والأخ في النصيحة، يزيد، فولاه[2].

ومن أخبار يزيد أن الفرزدق دخل عليه وهو محبوس فلما رآه مقيداً قال له:

أصبح في قيدك السماحة وال ::: جود وحمل الديات والحسب
لا بطران ترادفت نعم ::: وصابر في البلاء محتسب

فقال له يزيد: ويحك ما أردت بمدحتي وأنا على هذه الحالة؟ فقال الفرزدق: وجدتك رخيصاً فأحببت أن أسلفك بضاعتي، فرمى إليه بخاتم كان في أصبعه قيمته ألف دينار، وقال: هو ربحك أمسكه إلى أن يأتيك رأسك المال[3].

(١) المصدر السابق، ٤٨٣/١.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٣٨٤/١.
(٣) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة،ص١٥٠.

من كلامه:

- الحياة أحب شيء إلى الإنسان، والثناء الحسن أحب إلي من الحياة، ولو أني أعطيت ما لم يعطه أحد لأحببت أن يكون لي أذن أسمع بها ما يقال غداً إذا مت كريماً[١].

- قال يزيد بن المهلب لابنه مخلد: إذا كتبت كتاباً فأطل النظر فيه فإن كتاب الرجل موضع عقله[٢].

- وقال يزيد بن المهلب لابنه مخلد بن يزيد: إيّاك وأعراض الرجال فإن الحرَّ لا يرضيه من عِرضِه شيء، واتق العقوبات في الأبشار فإنها عارٌ باقٍ ودين مطلوب في الدنيا والآخرة [٣].

- استكثروا من المحامد فإن المذام قل من ينجو منها.

- وكان يقول. وددت لو أن كاساً بألف دينار وأن كل منكح في جهة أسد فلا يشرب إلا جواد. ولا ينكح إلا شجاع [٤].

- كان هشام بن حسان إذ ذكر يزيد بن المهلب قال: والله إن كانت السفن لتجري في جوده.

- وقيل ليزيد بن المهلب: مالك لا تبني داراً؟ قال: منزلي دار الإمارة أو الحبس[٥].

- وقال يزيد بن المهلب: ما يسرني أني كفيت أمر الدنيا كله، قيل له: ولم أيها الأمير؟ قال: أكره عادة العجز[٦].

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ٤٢٣/١.
(٢) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ص٣٣٣.
(٣) الدينوري، المجالسة وجواهر العلم، ص١٩٢.
(٤) الثعالبي، الإعجاز والإيجاز، ص٧١.
(٥) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ٨٧/١.
(٦) الكامل في اللغة و الأدب، ١٩٠/١.

- ما قرأت كتاباً قط لرجل إلا عرفت مقدار عقله فيه.

وصية يزيد بن المهلب لابنه مخلد :

ولما ولي يزيد بن المهلب خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك فتح جرجان وطبرستان سنة ٩٨ وقد أوصى ابنه مخلد حين استخلفه على جرجان فقال: يا بني، إني قد استخلفتك على هذه البلاد فانظر هذا الحي من اليمن فكن لهم كما قال الشاعر:

إذا كنت مرتاد الرجال لـــنفعهم ::: قرش واصطنع عند الذين بهم ترمي

وانظر هذا الحي من ربيعة فإنهم شيعتك وأنصارك فاقض حقوقهم وانظر هذا الحي من تميم فامطرهم ولا تزه لهم ولا تدنهم فيطمعوا ولا تقصهم فيقطعوا وانظر هذا الحي من قيس فإنهم أكفاء قومك في الجاهلية ومناصفوهم المنابر في الإسلام ورضاهم منك البشر.

يا بني إن لأبيك صنائع فلا تفسدها فإنه كفى بالمرء نقصا أن يهدم ما بنى أبوه وإياك والدماء فإنها لا بقية معها وإياك وشتم الأعراض فإن الحر لا يرضيه عن عرضه عوض وإياك وضرب الأبشار فإنه عار باق ووتر مطلوب واستعمل على النجدة والفضل دون الهوى ولا تعزل إلا عن عجز أو خيانة ولا يمنعك من اصطناع الرجل أن يكون غيرك قد سبقك إليه فإنك إنما تصطنع الرجال لفضلها وليكن صنيعك عند من يكافئك عنه احمل الناس على أحسن أدبك يكفوك أنفسهم وإذا كتبت كتابا فأكثر النظر فيه وليكن رسولك فيما بيني وبينك من يفقه عني وعنك فإن كتاب الرجل موضع عقله ورسوله موضع سره وأستودعك الله فلا بد للمودع أن يسكت وللمشيع أن يرجع وما عف من المنطق وقل من الخطيئة أحب إلى أبيك وكذلك سلك هذا المسلك المحمود[1].

(١) جمهرة خطب العرب،٢ /٣١٩.

- خطبة يزيد بين يدي الوليد :

وتكلم يزيد فحمد الله، وأثنى عليه وصلى على نبيه، ثم قال يا أمير المؤمنين، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء فمن ينس ذلك فلسنا بناسيه، ومن يكفر فلسنا كافريه وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم والطعن في أعين أعدائكم في المواطن العظام في المشارق والمغارب ما إن المنة علينا فيها عظيمة فأمنه الوليد وكف عنه[1].

خطبة يزيد بن المهلب يحرض أصحابه على القتال:

وقد سير يزيد بن عبد الملك العباس بن الوليد بن عبد الملك ومسلمة بن عبد الملك لقتاله فقام في أصحابه، فحرضهم ورغبهم في القتال، فكان فيما قال: إن هؤلاء القوم لن يردهم عن غيهم إلا الطعن في عيونهم والضرب بالمشرفية على هامهم: ثم قال: إنه قد ذكر لي أن هذه الجرادة الصفراء يعني مسلمة بن عبد الملك وعاقر ناقة ثمود يعني العباس بن الوليد وكان العباس أزرق أحمر كانت أمة رومية، والله لقد كان سليمان أراد أن ينفيه حتى كلمته فيه فأقره على نسبه فبلغني أنه ليس همهما إلا التماسي في الأرض والله لو جاؤوا بأهل الأرض جميعا وليس إلا أنا ما برحت العرصة حتى تكون لي أولهم قالوا: نخاف أن تعنينا كما عنانا عبد الرحمن بن محمد قال إن عبد الرحمن فضح الذمار وفضح حسبه وهل كان يعدو أجله ثم نزل[2]

- خطبة أخرى له :

عن خالد بن صفوان قال: خطبنا يزيد بن المهلب بواسط حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي، ثم قال: أيها الناس، إني أسمع قول الرعاع قد جاء العباس قد جاء مسلمة قد جاء أهل الشأم وما أهل

(١) المصدر السابق،٢ /٣٥٠.
(٢) جمهرة خطب العرب،٢ /٣٥١.

الشأم إلا تسعة أسياف منها سيعة معي، واثنان علي، وما مسلمة إلا جرادة صفراء، وأما العباس فنسطوس بن نسطوس أتاكم في برابرة وصقالبة وجرامقة وجراجمة وأقباط وأنباط وأخلاط من الناس إنما أقبل إليكم الفلاحون والأوباش كأشلاء اللحم والله ما لقوا قط حدا كحدكم ولا حديدا كحديدكم أعيروني سواعدكم ساعة من نهار تصفقون بها خراطيمهم فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين خطبة أخرى له.

وقال مقاتل: سمعت يزيد بن المهلب يخطب بواسط، فقال: يأهل العراق، يأهل السبق والسباق، ومكارم الأخلاق إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة قد رتبت لها الأشداق وقدموا لها على ساق وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال فالبسوا لهم جلود النمور [1].

- الكذاب يخيف نفسه وهو آمن.

معناه أنه قد عرض نفسه للمطالبة بحقيقة ما قاله، فهو خائف من الفضيحة، وملاحظ لعار التكذيب، ومستوحش لما فيه أنس الصادقين[2].

- ما رأيت عاقلاً ينوء به أمر إلا كان معوله على لحيته[3].

* * *

(١) جمهرة خطب العرب، ٢ /٣٥٣.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١/ ٧.
(٣) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢٦٧/١.